سعيد فيّاض

مختارات من الأعمال الشعرية الكاملة

كلمة لا بد منها

مع قرب نفاد الطبعة الثانية من ديوان "هتاف الوجدان"، ارتأينا استبدال الطبعة الثالثة بهذه المختارات التي تضم، إلى قصائد الديوان المذكور، بعضاً من قصائد البدايات التي نشرت في أوائل الخمسينات، وجل القصائد الجديدة التي لم تنشر ، لعلّنا نسلّط الضوء على المراحل الأدبية والتجارب الإنسانية التي مر بها الشاعر في حياته المديدة، الحافلة بالمعاناة والألم وذكريات الاغتراب، والعبر .....

إهداء

ما عساني أهدي لمن هناءة العيش وبردة الأمن طالما أهداني ونشدان الحق وحب الشعر بعض عطاياه الأثيرة على وجداني ؟؟ أأهدي الشوق الملح، ولهيب العجز (١) يصعقني ويعصف بكياني إلى الأب الحاني..

إلى من براني مألمي في مناداته وهو ذاهل لا يستجيب

إلى من عقّني جَلَدي لأراه يثور على دائه ويستفيق

إلى من يحرقني صمته ويفري مُهجتي، فيخرس بقلبي الوجيب

تاركًا في الحنايا وجع العزلة يقهر صبري وبإيماني يضيق

لعلّه يومئ لي بنظرة الرضا ويزول همي وعمري يطيب !!

دنيا

تقديم

بقلم البروفسور أهيف سنّو ..

نادرًا ما تجد في لبنان، في النصف الثاني من القرن العشرين، شاعراً ملتزما بالموروث الشعري العربي، رافقه الشعر في حلّه وترحاله، كما رافق سعيد فيّاض. فمختاراته الشعرية تمتد على مدى نصف قرن، منذ ١٩٥٠ حتى ٢٠٠٠، وهي من إنتاجه في بقاع الأرض المختلفة، ولا سيما لبنان، وسوريا، وجدة، والرياض ولندن، وجنيف، والمغرب، ونيس... فترى اليافع صاحب البواكير الشعرية، يشتد عوده شيئًا فشيئًا، وينصرف إلى كفاح الحياة، فلا تني له عزيمة، وإن وهن عظمه وأضناه المرض. وينعكس ذلك كله في مرأة شعره الصافية.

مفهوم الشعر

وأول ما يلفتك لدى سعيد فيّاض، نظرته إلى الشاعر والشعر فالشاعر الحق حلم أخضر، ولحن صدّاح خالد، وهو مجدد أبدًا:

أنا لحن حال فِي أَنْعَامِهِ

عابق الأمجاد صفوا بيّنا

أنَا خُلْمُ أَخْضَرٌ رَصّعهُ

بِازِعُ الفَجْرِ بإشعاع المنى

أنا الشاعر الباني على الأُفْقِ منزلاً

عَصِيًّا عَلَى إِمْكَانِ كُلِّ مُقَلِّد

تطوف قوافيه السَّمانُ على النهى

وَتَنْهَلْ مِنْهُ عَرْفَ فِكْرٍ مُوَلِّدِ (...)

وتنهلّ من شعري غوادٍ مُضِينَةٌ

يَهِيمُ بِهَا إِحْسَاسُ كُلِّ مُغَرِّد

والشعر إيحاء، وخيال، وعاطفة، ووجدان، ومعاناة، وثقافة، ومراس ولكنه تفاعل مع الواقع، ومخاطبة للعقل أيضًا؛ وهو رشاقة لفظ، وتوازن نعم. فهو يقوم على الجمع بين جمال المعنى والمبنى، بعيدًا عن صعوبة الفهم، وزخرف الشكل، وغرابة اللفظ:

وَرَوْنَقُ القَوْلِ فِي الْمَنثُورِ أَفْصَحُهُ

وفي القصيد انسجام في قوافيه

مع القرابة في مصداق غايته

إلى الحقيقة لا للتَّيه والتِّيه

فالبعض مِنْهُ سَخافات ظواهرها

خَلابَةٌ وزُعَافُ السُّمَّ تُخْفِيهِ

والبعض مُسْتَغْرَب جَلْبَابه خَشِنُ

والبَعْضُ يَرْحَمُهُ إِسْفَافُ قاريه

وبَعْضُهُ يَجْمَعُ المَعْنَى بهالَتِهِ

طَرُوبَةٌ كَهَزار في مغانيه

وَالبَعْضَ لَوْ صَحّ مَعْنَى شَابَهُ قِصَرٌ

عَنِ الفَصاحَةِ يُغْضِي مِن مَعَانِيهِ

وشيئا فشيئًا تتضح وظيفة الشعر، فهو والتكسب نقيضان لأن غايته الصدق مدحًا وهجاء، وهو أليف العاقل، فيأبى شيطانه الرفث وذميم القول، والشعر الخالد هو المعبّر عن خفايا النفس:

أيها الشعر يا هتاف الجنان

يا سُلاف الحياة في الوجدان

يا عُقُودًا مِنَ النُّهَى رَاهِيات

حول جيد من القوافي الحسان

يا نَحِيًّا لِكُلِّ عَاشِقِ حُسْنِ

يا مُشِيعَ الصَّفاءِ في الأذهان

يا مقلّ الماضي على صَهْوَةِ الحلم (م)

إلى أي مَوْطِنٍ أَوْ زَمانِ

يا صديقي الذي أقام على الود (م)

ومَا فَرَّ مِن لَظَى أشجاني

فمن هنا تأتي صعوبة الشعر: فهو نوع من الابتلاء يُسهّد صاحبه، وغالبًا ما يكون مرافقًا للفقر:

فَالْفَقْرُ والشعر ما غابا ولا افترقا

يومًا هُما واحد في السر والعلن

تلك هي نظرة سعيد فيّاض إلى الشعر، وفي ضوئها ينبغي أن تدرس مضامين شعره، وتبرز هذه المضامين في علاقات أربع: علاقة الشاعر بذاته، وعلاقته بالمرأة، وعلاقته بمجتمعه ووطنه، وعلاقته بربه.

الشاعر وذاته

شعر سعيد فياض شعر وجداني بث فيه عواطفه وخبرته في الحياة. وهو، حسبما وصفه في مقدمة هتاف الوجدان: "بوح جنان وهتاف وجدان، أكثر ما هو حداء لسان وسلاسة ألحان وبلاغة بيان أو براعة فنان.

وفي شعره خلاصة لنفسيته كما رآها: فقد صوّر حزنه وألمه ومعاناته، وأخذه بمكارم الأخلاق منذ صباه، وتحلّيه بالفضائل. فهو شاعر صدوق، يرفض الهوان، دأبه الإباء، وعزة النفس، وطهارة القلب، والسخاء، والتقوى:

حرام عليَّ الإِفْكُ والمَيْنُ والأَذَى

وَغَيْبَةُ نَمَامٍ وَغَدْرٌ وإِيلام

حلال لي العيش الذي في رياضه

يطيب الهدى نهجا ويَفْتَرُّ إلهام

فتراه آخذًا بالصبر، مفضّلاً القناعة على زهو الغنى. زد على ذلك بره أمه، فهي التي تعلّم الحب، وإيثاره للغير، فيبادي الظلم بالحب، داعيًا إلى المودة والإخاء.

ويُؤلمني أَنْ يَكْرَه الناسُ بَعْضَهُمْ

وأَن تَسْتَوِي الشَّحْنَاءُ بَيْنَهُمْ دَرْبًا

لهذا أقمتُ الحبَّ جِسْرًا إلى الوَرَى

إِذا بَدَأُونِي الْجَدْبَ أَعْقَبْتُهُمْ خِصْبا

وإن بخسوني القَدْرَ أَغْلَيْتُ قَدْرَهُمْ

وَحَسْبِيَ أَنْ يَرْتَاحَ شَيْبي بما شبّا

فلا حظ في نَفْسِي لِحِقْدٍ وَلا قِلىً

وَسَاوَيْتُ في الحب الأباعد والصّحبا

غَنِيتُ بِطَوْعي الله والأُم بَعْدَهُ

وخَلَّيْتُ للنَّاسِ الْغَنَائِمَ وَالْحَرْبا

وفي علاقة الشاعر بذاته موضوع بارز يتبادر إليك عندما تتأمل شعره، هو تلك الغربة التي لازمته طوال حياته، والغربة في نظره غربتان: غربة الشعور، وغربة الوطن.

أما غربة الشعور فهي أن يجد الشاعر نفسه في غير الموضع المناسب له، فيزهد في الناس، ويختار العزلة، فإذا به بعيد عن قومه، بلا صديق أو حبيب. فتلك هي الغربة الحقيقية، غربة العقل لا الجسم:

غُرَبَةُ الْمَرْءِ غُرَبَةُ العَقْلِ لا الجِسْمِ (م)

لأنَّ العُقُولَ مُخْتَلِفاتُ

بعضُها حائمٌ على وَهْدَةِ الجَهْلِ (م

وَبَعْضَ مَدَارُهُ النَّيِّرَاتُ

واغتراب العقول أَعْمَقُ جُرْحاً

من نصال جراحها داميات

بينما الجِسْمُ أَيْنَمَا كَانَ يَلقَى

ما به يَكْتَسِي وَمَا يَقْتَاتُ

وقد اختصر تلك الغربة في قوله:

أَنَا فِي عَالَم تَنَكَّرَ لِلْحَقِّ (م)

وَأَمْسَى يَدِينُ بِالتُّرهـاتِ

أنا في مَوْكِب الحَياةِ غريب

بَيْنَ قَومٍ تَلَفّعُوا بِالهَناتِ

أنا في عالم يجيش رياءً

فيه يُجْزَى الإحسان بالسَّيِّئَاتِ

وأما غربة الوطن فتقض مضجع الشاعر، فيتوق إلى لبنان والديار المقدسة

وَمَا كُنتُ يومًا أَنْشُدُ الْبَعْدَ إِنَّمَا

هُوَ القَدَرُ المشفوع بالطَّوْعِ سَرْمَدا

وإِنّي وَلَوْ أَلْفَيْتُ في العَرْبِ نُضْرَةً

فَلُبنانُ حُبٌّ في كيانِي تَوَطَّدا

وَفِي مَكَةٍ مَهْدِ الرَّسُولِ جوارحي

تَطُوفُ ببَيْتِ اللهِ للهِ سُجَّدًا

وَيَسْبقُنِي نَحْوَ المَدِينَةِ خَافِقِي

حَنِينًا إِلى تُربٍ يُوارِي مُحَمَّدا

ولكن تأتي المرأة والحب ليخففا من ألم الغربة.

الشاعر والمرأة

للحب مقام خاص في حياة الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي وَالْعَيْشُ مِنْ غَيْرِ حُبِّ

نَغَمْ بُحْ فِي صَدَاهُ الرَّوِي

كَيْفَ تَقْوَى عَلى الحَياةِ قُلُوبٌ

غاضَ فيها الهوى وغابَ النَّجِي

فهو من مقومات الحياة، وترى الشاعر دائم الحنين إلى الجمال، ويترك فيه جمال المرأة أبلغ الأثر. وكان الحب خير مرافق له منذ صباه حتى شيخوخته.

والحب الذي ينشده الشاعر هو الحب الطاهر الصادق؛ و"الحب لا يصفو مع المكر فتراه يُدافع عن عذرية الهوى ، إلا أن ذلك لا يعني انعدام الجاذب الجسدي، ولا سيما في شعر الصّبا والشباب ولكن كَلَفَه بالمرأة والحب لم يشغله عن قضايا مجتمعه ووطنه.

الشاعر والمجتمع والوطن

انصرف سعيد فيّاض في قسم كبير من شعره إلى النقد الاجتماعي فحمل على زمانه، عصر الظلمات.

كانز المال قائط من حبال (م) اللهِ مُسْتَمْسِكُ بحْبْلِ اللآلي (...)

بينما عاشق المروءة والفَضْلِ (م) قويّ الإيمان بالمتعالي

لا يخاف الظّما ولا يَرْهَبُ الفَقْرَ (م) فَجُودُ الرَّحْمَنِ سَهْلُ المَنالِ

ومهما تحامل الأغنياء على الفقراء، هيهات أن يكون الفقر عيبا !

وعندما يوجه الشاعر ناظريه إلى الغرب يلاحظ أنه يُساوي الشرق في هذه السيئات. وإن أتقن الغرب الخداع بفضل فكره، فسرعان ما ينكشف ما فيه من جهل وغباء، وغدر وكذب، وارتكاب حرام، وإذلال للضعيف:

كذَبَ الزَّاعِمُونَ فِي الْغَرْبِ نُبْلاً

وَرَغابًا تَسْمُو بِها عَلْياها (...)

وبنو الْغَرْبِ جُلُّهُمْ كَالْبَرَاكِينِ (م)

تَؤجّ النيرانُ فِي أَحْشاها

فِي أَحَادِيثِهِمْ وَدَاعَةُ لَفْظٍ

لَيْسَ تَعْدُو عند الفعال الشفاها

وفي مجال النقد الاجتماعي هذا، يبرع الشاعر في رسم لوحات تمتاز بدقة الوصف، ومن ذلك لوحة المزدهي بغناه، وحديث النعمة والمقامر، والمتسول، وفتاة الحانة، والجارة الثقيلة. وفي أحيان كثيرة، يتحول النقد الاجتماعي لديه إلى حكمة، كما في قوله:

وَمَهُمَا ارْتَقَى مُوسِرٌ تافه

سيلقي به جَهْلُهُ مِن عَل

وهكذا تجد الشاعر أمام ثنائية متناقضة: فمن جهة أولى سيطرة التفاهة والخداع والمال الذي يُحدد وحده قيمة المرء، ومن جهة أخرى تراجع العقل والضمير والمروءة والفضل والإباء والحياة والتقى، فأمام خيبة أمله من الشرق والغرب على السواء، يتساءل: أين المفر؟

ليت شِعري وَواقِعُ الْحالِ مُرٌّ

أَيْنَ وَاحُ النُّهَى وَأَيْنَ شَذاها

وَالْوَرَى مُبْلِسُونَ شَرْقًا وَغَرْباً

وخُطَاهُمْ بَيْنَ المعاصي سراها

ولا يبقى من دواء ناجع إلا الهروب إلى الله:

يا إلهي رُحْمَاكَ نَرْجُو فَفِيها

وَحْدَها يَلْتَقِي الصَّفا والأمان

وبها يُنصَرُ الضَّعِيفَ ويَنْجُو

في زمان ميت به الوجدان

كذلك تراه يلجأ إلى الله في شعره الوطني عندما ينتقد ظلم الحكام وأطماعهم:

إذا الحاكم استهواه للظلم مركب

وأَوْعَل في آثامه غير آبه

وَأَطْلَقَ للأطماع فَوْضَى عِنانِها

وَحَقَّقَ بِالطَّغْيَانِ كُلَّ رِغابِهِ

فكلْه إلى ربِّ العِبادِ إِن بدا

مُخيفًا بحالي عفوه أو عقابه

لكُلِّ ظَلُوم في الحياة نهاية

تُرِيهِ انْتِقَامًا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ

ويتضمن شعره الوطني والسياسي الكثير من شعر المناسبات، وهو مبثوث في ثنايا مختاراته، ولكن جلّه جُمع في آخرها. ومن هذا الشعر ما ألقي في مواسم الحج في المؤتمرات العربية، أو أمام ملوك الدول العربية ورؤسائها؛ ومنه رثاء أيضًا. وقد خص بشعره المدن والبلدان العربية وعلى رأسها لبنان، وفلسطين، ثم المملكة العربية السعودية و دمشق، وعمّان...

وإن دراسة هذا الشعر مهمة لتبين مواقفه السياسية، ونظرته إلى أمّته ووطنه، فتراه يولي اهتمامه البشرية جمعاء، ولكن تفاعله الأعمق هو مع أمته، فهو يتغنى بالعروبة ويستنهض الأمة إثر حروبها مع إسرائيل، مشددا على الشهادة. وهو لا يتوانى في نقد تمزق الأمة الذي يوشك أن يقضي عليها.

وهوذا الشاعر هنا أيضًا، يستعين بالله لتكون الغلبة للأمة على أعدائها، كما استعان به هناك ليخلّص مجتمعه من أدران الفساد:

يا صخرة القدس الشريف اشْهَدِي

أَنّا نَذَرْنَا لِلْجَهَادِ الدِّماء (...)

غدًا بعون الله نلقى الرّبى

خضراء كالواحةِ بَعْدَ الشَّتاء

الشاعر والله

تبين لك في ما تقدم شيء من علاقة سعيد فيّاض بربه، ولا سيما في شعره الاجتماعي والوطني، ولكنك متى تصفحت مختاراته، على اختلاف موضوعاتها، لم يخف عليك حضور الله الدائم فيها. ويعود ذلك إلى إيمانه العميق به:

حَسْبِي ثَرَاءٌ فُوَادٌ مُؤْمِنٌ أَبَدًا

يُضِيءُ بِالْهَدْيِ أَعْمَاقَ الدُّجُنَاتِ

ويتجلى ذلك في مواضع بارزة من شعره، منها ما نظمه في بعض المناسبات الدينية، كشهر رمضان مشدّداً على معنى الصوم الحقيقي وذكرى الإسراء، وذكرى المولد النبوي. وهو يبتهل إلى

الله ويدعوه دعوة صادقة متبركا بأسمائه الحسنى، معبراً عن ثقته المطلقة به، راغبًا في إرضائه دون الناس. فعلى الإيمان بالله يُعوّل، وإلى الله يلوذ من شرور زمنه. ولا يعرف إيمانه هذا الانغلاق على الديانات الأخرى

ويؤول ذلك كله إلى التسليم لله:

وأَسْلَمْتُ لِلْخَلاّقِ أَمْرِي فَإِنَّهُ

يَعُودُ إِلَيْهِ الفَصْلُ في النهي والأمر

ولكنه تسليم لا ينبذ العقل، بل يخصّه بدور أساسي:

إذا تخلَّى المَرْءُ عَن عَقْلِهِ

وَطَالَ بِالْجَهْلِ عَلِيَّ الرُّتَب (...)

سرعان ما يُصْبِحُ أَضْحُوكَةً

يَلُوكُها العُذَّالُ أَنِّى ذَهَبْ (...)

وَلا يَطُولُ الْمَجْدُ فِي خُلْدِهِ

إِلا مَعَ العَقْلِ وَحُسْنِ الأَدب

ولا يخفى عليك أن سعيد فيّاض قد تمكن من تحويل هذه المضامين الفكرية إلى شعر بفضل تقنياته ووسائل تعبيره الشعرية.

التقنيات ووسائل التعبير الشعرية

سعيد فيّاض شاعر ذو نفس شعري طويل: فإلى جانب مقطوعات شعرية تتألف من بيتين تجد له مطولات شعرية تتجاوز خمسين بيتًا ، بل ستين، بل سبعين، وقد حرص في القسم الأعظم من شعره على المحافظة على عروض الخليل، مؤكدًا أن ذلك لا يحول دون التجديد. فاعتمد المعهود من الأوزان، والتزم في كثير من شعره بالتقفية والتصريع، لإغناء موسيقاه الشعرية:

أهواه في الإسرار والعلن

وَهُوَاهُ أَسْلَمَنِي إِلى الشَّجَنِ

وقد عُني بالأوزان القصيرة المجزوءة، مستفيدا من موسيقاها وباختيار الألفاظ المناسبة لإيقاع أبياته:

الْعِلْمُ رائدها والفَضْلُ نائلها

والشَّعْرُ قائِدُها نَحْوَ الجَمالات

و لم يحل التزامه بعروض الخليل دون تجديده، ولكنه تجديد ينتظم في سلكه فقد اعتمد مشطور الكامل، ونوّع أوزانه وقوافيه في القصيدة الواحدة ولا سيما في شعر الشباب.

وإلى جانب ذلك، أفاد سعيد فيّاض من وسائل التعبير التي تتيحها له اللغة، ويبدو ذلك في استعماله الأفعال وتنويعها.

مَوِّجي الخَطْوَ وَاسْرَحِي كالضَّياءِ

واسبحي في غلائل الخيلاء (...)

حَوِّمي واخطري وميدي وعُودِي

بين طوفِ الرُّؤى وهَتْفِ الحداء

وفي التكرار الرامي إلى التأكيد، وفي الحوار الذي يجعل قصائد الحب نابضة بالحياة.

وألفاظه سهلة إجمالاً، يلتزم فيها عذهب اختطه لنفسه:

متعة اللفظ أَنْ يَكُونَ جَمِيلاً

حافلاً بالطيوب كالأزهار

يُرسل الدعاء والسعادة للسمع (م)

كما تُرْسِلُ الوضاء الدراري

فالذي لا يُجيدُ سَلْسَلَة اللفظ (م)

بِمَعْنَى حُلْو بَدِيعِ الإطار

هُوَ أُحْرَى بِالصَّمْتِ كَيْ لا يُشيح (م)

النَّاسُ عَنهُ بِالسَّمْعِ والأَبْصَارِ

وهو يقتصد في وسائله البلاغية، فلا يستهويه الزخرف، ولا يورد من المحسنات إلا ما يستساغ:

فتّانة لكنها مَفْتُونَةٌ

بِالْغَيِّ راغ بها الضَّلَالُ عَنِ الهُدى

ولكنه عني بالتشبيه، وزيّن شعره به

ففؤادي الرَّانِي إِلَيْكِ كَما

يَرْنُو إِلى النَّبْعِ الْفَمُ الظَّامي (...)

كأَنِّي لَحْنُ بَرَاهُ الأَنينُ

عَلَى شَفَةِ الْفَارِسِ الْمُثْخَنِ

ويَرْقُبُهَا السُّمارُ بِالْعَيْنِ وَالنُّهَى

كَمَا يَرْقُبُ السَّارُونَ إِطلالة البَدْرِ

وبعد،

فإن هذه الجولة السريعة في شعر سعيد فيّاض تكشف لك النقاب عن شاعر أحسن الملاءمة بين مفهومه للشعر وممارسته له، فمن جهة أولى، حلّق في عالم الخيال والعاطفة والوجدان، فبث في شعره عصارة نفسه وغربته، وتجربته في الحب، وإيمانه بالله. ومن جهة ثانية، تغلغل في بواطن واقعه، فقدّم لنا في شعره خلاصة تفاعله مع مجتمعه وأمته. وهو في كلا الحالتين، ممسك بزمامين: زمام الفكر المتمثل بالثقافة الواسعة والفكر النير، وثانيهما زمام البناء الشكلي المتين، الملتزم بعمودية الشعر وبساطته، فيبدو لك شاعراً محافظا، ولكن كلاسيكيته لم تحل دون سلوكه – مضمونا وشكلاً – طريقي الإصلاح والتحديد.

فوق الغمام ؟!

إِذا كُنتَ تَخْجَلُ من وَقْفَةٍ

بِساحَةِ هُونٍ أَباها الكرام

وكُنتَ نَبيلاً نماه اليَقينُ

إِلى قِمَّةٍ لا يطاها اللئام

فجانِب دُرُوبَ الرَّعَاعِ الغُواةِ

وَصَاحِبْ عُلاةَ نُفوسٍ وَهامْ

ولا تقترب من مَعابِ الغُرورِ

وخَلِّ لِغَيْرِكَ عَيبَ الزحام

وَطَاوِلْ بِخُلْقِكَ جَوَّ الصُّقورِ

وَحَوِّمُ بِعَقْلِكَ فَوقَ الغَمام

وَحَلِّقْ بِجُنْحَيْكَ عَبْرَ النُّجُومِ

وَطلْ بالطموح عَلِيَّ المَقام

وَلَا تَخْشَ وَبلَ سِهام الحقودِ

فَلا ترتقي للأعالي السهام

وحاذِرْ مَغَبةَ تِيهِ الصَّغَارِ

لئلا يَلُفَّكَ طَوقُ الجَهام

ولا تَرْضَ بالسيرِ بين الوحولِ

فَإِنَّ الوحول مطافُ الهوام

وخَيْرٌ لَكَ الفَقْرُ حُرَّ الإِيادِ

مِنَ الرَّغْدِ في عيشةٍ كالسَّوام

لبنان ١٩٦١ م

عذرية الهوى ؟!

ناديتني للوصل يا حلوتي

وفي مَآقِيكِ سعير الهيام

وقُلْتِ لي ، إنَّ اللَّقَا خُلْسَةً

أَمَتَعُ مِن حُلْمٍ هَن فِي المَنام

وقد فَتَحْتِ الجُرحَ في خافِقٍ

أَتْعَبَنِي في شَجْوِهِ المُستَهامُ

حتَّى كَأَنَّ الآهَ في عتبه

أَنينُ مُعْتَلٍّ بَراهُ السَّقام

طوراً أُمَنِّيهِ بما يَشْتَهي

وتارَةً أَسْكِتُهُ بِالمَلام

لكنّني ما كُنْتُ طَوعاً لَهُ

أَعْشَى جُناحاً أو أرودُ الأَثام

لأنني أخشى معاب السُّرى

في الرِّجْسَ ، مهما يَسْتَثِرْني الغرام

فالحُسْنُ كالزَّهْرِ عَلى غُصْنِهِ

يَبقى نديا ما عداه الفطام

وكلما استعلى بهِ عِطْرُهُ

وطاف في الأجواء طوفَ الغَمام

تبقى لَهُ عُذْرِيَّةٌ تُشْتَهى

ولا يدانيه ركامُ الرَّغام

فالوَصْلُ إِنْهاءُ لتشويقِهِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ حِلاً ، خَلِيَّ الحَرامُ

إِنَّ الهَوى والعِشْقَ يا حلوتي

أَرفَعُ قَدْراً مِن وِصالِ السَّوامُ

والحُسْنُ تُغْلِي مَهْرَهُ عِفَةٌ

والقَلْبُ يَسْتَهْوِيهِ صَعْبُ المُرامُ

فاستَبْدِلِي صَخْبَ الجَوى بالحيا

وأستَبْقِ فِي الأَضلاع دفء السَّلام.

لندن ١٩٨١م

نار في الضلوع ؟!

أنا لم أنسك يا حلو ، فَمَنْ أَنسَاكَ حُبَّك؟

أنا ما ضَيَّعْتُ دَرْبَ القَلبِ ... لِمْ ضَيَّعْتَ دَرْبَك

أنا ما خُنْتُ، ولا أرخَصْتُ إحساساً أَحَبَّك

مَرَّ عُمْرِي، والمُنى تَضْحَكُ لي ... ما دُمْتُ قُرَبَكَ

فلماذا؟ بعدما اسْتَمْلَكْتَ قَلبي صُنْتَ قلبك ؟

وَتَرَكْتُ اليأسَ يقتاتُ ضراعاتي ... وَعُجْبَك ؟!

هَلْ نَسِيتَ العَهْدَ أَمْ أُنسِيتَ يَا ظَالِمُ تِرْبَكْ؟!

إنسني ما شئت أو فَاذْكُرْ، فَقَدْ أَعْفِرُ ذَنْبَكَ

عَلَّ وجدانَكَ يَصحو مِن سُباتٍ عاقَ وثبك !

أنت في الأضلع نارٌ ... لَيْنَها تُحْرِقُ جَنْبَكَ !!!

لبنان ١٩٦٢م

شقراء ؟!

شقراء، يا شبه الملائك في الطَّهَارَةِ والخِلال

يا طفرة الأحلام تَعْبَثُ بالحَقيقَةِ والخيال

عطرِيَّة الأنفاس.. في عينيكِ يَأْتَلِقُ الجمال

وعلى جبينك من وسيم الفَجْرِ تَرْتَسِمُ الظَّلال

شقراء، يا بوح الربيع، يَفِرُّ مِن عَصْفِ الشَّتاء

يا شُعْلَةَ الأمل البهيج .. ويا تباشير الضياء

هَلْ في لقائك مُتْعَةٌ يصفو بها كَدَرُ العناء

أم أن في لقياك موصول الحلاوة بالشقاء؟

شقراء ، يا دَلَّ الورود بواحة الأمل الجميل.

يا فَرْحَةَ الحِس المُؤرَّقِ بِالهَوَى العَذْبِ الخَضِيلْ

هلاً وَفَيتِ كَمَا وَفَيتُ وما تَهَيَّبْتِ العَدُول

أم أَنَّكِ الحسناء .. تنسيها المَفاتِنُ ما تقول؟

شَفْراءُ، يا سَجْعَ العَنادِلِ يُوقِظُ الفَجْرَ الطَّرُوب

ينساب كالدفء الشَّهِيّ، مُهَوّماً فوق الطيوب

ويَرِقُ، حَتَّى يَسْتَحِيلَ صَبابَةً تَلِجُ القُلوب

فَيُصَفِّقُ القَلْبُ الجريح .. وفيهِ تَندَمِلُ الندوب!

شقراء، يا لَحْنَ الخُلُودِ يَرِنُّ فِي سَمْعِ الزَّمَانُ

يا لَفْتَةَ القَلْبِ الرَّخي ويا تلاويح الحنان

يا دمعة العنقود، فَرَّتْ من حَشاي إلى الجنان

فتَأَوَّدَ الحِسُّ الحَبيسُ وباتَ مَرْخِي العنان

شقراء ، يا حُلْم الشَّبابِ الغَضْ رَنَّحَهُ الهيام

يا وَثَبَةَ القَلْبِ الخَلِي، إذا استُثير به الغرام

هَيَا أَرحَمِي صَبًّا، جَفاكِ المُرُّ صَيَّرَهُ حُطام

فحرام أَنْ يَشقى بحبكِ، عاشق دنفٌ، حَرام

لبنان ١٩٥٤م

سراب؟!

أنا والليل وأحلامي الغوالي، والشباب

والسنى الطَّافِرُ من عَيْنَيْكِ وَالشَّهْدُ المُذاب

وأَمانٍ حُفَّلٌ بالوَهُم . يغشاها الضباب

ووعودٌ هِيَ كُلُّ المَكْرِ، والعَهْدُ الكِذاب

ورؤى حيرى .. أمانيها سهاد وارتياب

وغرام سابح في الشوقِ يُضويه العذاب

وفؤاد ساذج تغريه آمال عذاب

وجوى مُضْطَرِمُ الآه.. وعُذر .. ورغاب

كُلُّنا نَحْلَمُ باللقيا .. ولقيانا سراب !

وأَمانٍ حُفَلٌ بالوَهُم . يغشاها الضباب

ووعودٌ هِيَ كُلُّ المَكْرِ، والعَهْدُ الكِذاب

ورؤى حيرى .. أمانيها سهاد وارتياب

وغرام سابح في الشوقِ يُضويه العذاب

وفؤاد ساذج تغريه آمال عذاب

وجوى مُضْطَرِمُ الآه.. وعُذر .. ورغاب

كُلُّنا نَحْلَمُ باللقيا .. ولقيانا سراب !

لبنان ١٩٦٠م

قلبي يحدثني ؟!

أنا لا أحِبُّكَ ، فابْتَعِدْ عَن ذَرْع دربي

أنا لا أطيق بأن أراك تلوح قربي

أنا لَسْتُ أَرجو منك تبريراً لعتبي

قلبي يُحَدِّثُني ... وقلبُ الحُرُ يُنبي

ويَقولُ خانَكَ مَن تُحِبُّ وهكذا حَطَّمَتُ حُبِّي

عَبَثاً تُحاوِلُ أَنْ تُبَرِّدَ غِلَّ قَلْبي

إِنِّي كَرِهْتُكَ بَعْدَمَا اسْتَهْتَرتَ بي من غيرِ ذَنْبِ

وحَلَفْتُ أَنْ أَنسَاكَ مَهمَا تَبْكِ جَنْبي

فارجع إلى النسيان مِثْلِي ... واتَّعِظُ بي !!

لبنان ١٩٥٨ م